أسباب التطور الدلالي ومظاهره في اللغة العربية

قراءة وتحليل

الحمد لله الذي أنزل القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على البشير النذير، والمعلّم النحرير، صلى الله عليه ما تدفقت مياه الأنهار، وما فاح شذا الأزهار، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، ثم أما بعد:

اللغة العربية هي لغة القرآن، نزل بها فزادها إشراقاً وتألقاً، وهي لغة طيعة قابلة للتطور، ومواكبة تغيرات كل عصر ومصر، وهذا سر من أسرار اختيارها لتكون لغة الوحي، وقد سارت مواكبة للقرآن تتغذى من عطاءاته، وتستقي من مناهله، فتطورت في جميع جوانبها، ومختلف مستوياتها، وما موضوع "التطور الدلالي في العربية: أسبابه ومظاهره" إلاّ مثلاً حيّاً على ذلك التطور الذي شهدته عربيتنا الأصيلة في ضوء مواكبتها ومسايرتها لكتاب الله الكريم.

في هذا البحث سأتحدث عن هذا الموضوع من خلال التعريف بمصطلح "التطور الدلالي"، و"أسباب التطور الدلالي"، و"مظاهر ذلك التطور الدلالي"، وهو بحث من الأهمية بمكان حيث يتناول جانبا مهما من جوانب العربية، بل لبّها اللبّاب وهو "المعنى".

ومن المعروف أنه من القوانين المقررة أن اللغة كالكائن الحي تنمو، وتتطور، وتتقدم، إذا توافرت لها أسباب معينة تدفعها إلى الأمام، وموضوع بحثي يندرج تحت مظلة هذه المنظومة اللغوية التي تسعى للتقدم والتطور ومواءمة حياة المجتمع، ومسايرة أحداثه ومتغيراته.

هذا الموضوع تناوله عدد من العلماء القدامى مثل: ابن فارس في كتابه:"الصَّاحبي"، والسيوطي في "المزهر"، حيث عقد بابا خاصّاً عنوانه "معرفة العام والخاص"، وضمنه خمسة فصول، فضلاً عن أصحاب المعاجم اللغوية الذين عرجوا عليه، أما حديثاً فقد تناوله الدكتور/إبراهيم أنيس في كتابه: "دلالة الألفاظ"، والدكتور/ أحمد مختار عمر في كتابه "علم الدلالة"، والدكتور/حسين حامد الصّالح في بحثه "التطور الدلالي في العربية"، والدكتور/عليان بن محمد الحازمي في بحثه "علم الدلالة عند العرب".

يقع هذا البحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث، الأول منها عرفت فيه بمصطلح البحث، والثاني: تحدثت فيه عن أسباب التطور الدلالي، والثالث: تناولت فيه مظاهر التطور الدلالي عند العرب.

هذا الموضوع مضمارٌ تتبارى فيه الأقلام، فهو لا يزال بحاجة على المزيد من البحث والدراسة من زوايا مختلفة، وهو موضوع ثـري متطـور ومتغيـر لارتباطـه بالمجتمع وحاجاته ذات الطابع المتجدد والمتغيّر من وقت لآخر.

المبحث الأول/ مفهوم التطور الدلالي:

التطور بمفهومه الواسع أمر تقتضيه طبيعة الحياة، وتفرضه طبيعة الإنـسان المائلة إلى التغيير، وهذا التطور يأخذ أشكالاً مختلفة، وصوراً متغايرة، فهنـاك تطـور علمي، واجتماعي، واقتصادي، وصناعي...الخ.

واللغة هي الوسيلة التي تعبر عن أشكال ذلك التطور والتغيّر، فأمر طبيعي أن يحدث فيها تغيير وتطوير على نحو يواكب ويوائم أشكال التطور الآنفة، وهذا ما دفـع بعض الباحثين إلى القول:

"إنّ اللغة كائن حيّ له طبيعته الذاتية، وأنّ تطور اللغة محكوم بقوانين ثابتـة كالقوانين التي تحكم مظاهر التطور الأخرى في الطبيعة"[١].

عندما نعود إلى الجذور الأولى للفعل (طوّر)، نجـد ابـن منظـور[٢] يقـول عنه:"الطور: التارة، يقول: طوراً بعد طور، أي: تارة بعد تارة، وجمع الطـور أطـوار، والناس أطوار، أي: أخياف على حالات شتى، والطـور: الحـال، وجمـع: أطـوار... والأطوار: الحالات المختلفة والتارات والحدود، واحدها طـور، والطـور الحـد بـين الشيئين"[٣].

ومما هو جدير بالذكر هنا أنّ لفظة (تطوّر) قد لا تعني الحـديث عـن وضـع أفضل، أو أنّ الوضع الجديد والمنتقل إليه هو الأفضل من ذي قبل، بل قد يكـون علـى العكس من ذلك في الجانب اللغوي كما لو حدث (ابتذال وانحطاط اللفظ)، وهذا ما حـدا بالدكتور/ رمضان عبد التواب إلى اختيار لفظة (تغيير) بدل "التطـور"، حيـث يقـول:

---

(1) اللّغة والتطور، د/عبد الرحمن أيوب، ص/٣٧-٣٩.

(2) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين (٦٣٠ ــ ٧١١هـ) =(١٢٣٢ ــ ١٣١١م) الإمام اللغوي الحجة، صاحب "لسان العرب"، ولد ومات بمصر، أشهر مصنفاته: "مختار الأغاني"، "تثـار الأزهار في الليل والنهار"، "أخبار أبي نواس". ينظر: بغية الوعاة (٢٣٥/١)، الأعلام (١٠٨/٧)، معجم المؤلفين (٧٣١/٣).

(3) لسان العرب، لابن منظور (٧/٩)

"استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور)، لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه، فإنّه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة التغيير"[٤].

وأستطيع أن أقول: إن التطور هو تغيير يطرأ على اللفظ في المستوى الصوتي والنحوي والدلالي والصرفي.

أمّا الدلالة فقد عني بدراستها اللغويون لارتباطها بالمعنى، حيث جعلوا محور دراساتهم اللغوية المعنى فهذا الدكتور/تمام حسان يشير إلى أنّ أيّ دراسة لغوية " لابُدّ أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى... فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى"[٥].

وفي باب دلل يقول ابن منظور "دَلَلَ: أدلّ عليه وتدلّلَ انبسط،. ..، ودلّه على الشيء يدلّه دلاًّ ودلَالَةً فاندَلّ: سَدّده إليه، ودللته فاندل، والدليل ما يستدلُّ به"[٦]

أما الشريف الجرجاني فيعرف الدلالة بقوله: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر،والشيء الأول هو الدّال، والثاني هو المدلول"[٧]

تنوعت وجهات نظر اللغويين حول مفهوم الدلالة، حيث يروق لبعضهم تسميته بـ(علم المعنى)؛ لأنّ الغرض من دراسته المعنى[٨]، وعلى أية حال فإنّ: "التطور الدلالي هو أحد جوانب التطور اللغوي، وميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر على حال بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، ومطالعة أحد معاجم العربيّة تبرهن على هذا التطور، وتبيّن أنّ معاني الكلمات متغيّرة من عصر إلى عصر"[٩].

المبحث الثاني: أسباب التطور الدلالي:

دراسة التطور الدلالي هي محور رئيس لعلم الدلالة الحديث الذي تركزت فيه جهود الباحثين على جوانب التغيرات المتعاقبة التي تحدث للمعنى، وهذا ما أكده الدكتور/ أحمد مختار عمر بقوله: "فقد كان من أهم ما شغل علماء اللغة موضوع تغير

---

(4) التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د/رمضان عبدالتواب، ص/٩.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها، د/تمام حسان، ص/٩.

(6) لسان العرب، (١١/٢٤٨،٢٤٧).

(7) كتاب التعريفات، للشريف/علي بن محمد الجرجاني، ص/١٠٤.

(8) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص/٢٨.

(9) التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د/حسين أحمد صالح، ص/٦٥.

المعنى، وصور هذا التغير، وأسباب حدوثه، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفـــاظ أو موتها "[١٠].

تشعبت أسباب وعوامل التطور الدلالي، فيصعب الإلمام بجميع جوانبها، وهـــذا ما جعل كثير من الباحثين يستبعدون إمكانية وضع قوانين وأسس تحكم هذه القـــضية، فهذا الدكتور/ علي عبد الواحد وافي يقول:"أما في الشعبة الخاصة بالدلالة فكثير ممـــا كشفوه لم يصل بعد في دقته وضبطه وعمومه إلى المستوى الذي يتحقـــق فيـــه اســـم القوانين"[١١]

وذلك لأن التطور الدلالي ذو صلة قوية بالمجتمع وثقافتـــه وتاريخـــه، وهـــذه جوانب متشعبة، تختلف من مجتمع لآخر، ومن لغة لأخرى فيصعب تحديدها، لذا وجدنا الباحثين يتباينون في حصر أسباب ذلك التطور الدلالي، فالدكتور/إبراهيم أنيس أعادهـــا إلى عاملين هما: الاستعمال والحاجة[١٢]، وهو في ذلك يقتفي خطا ابن جني[١٣] حـــين قال: "وما يكثر استعماله مغيّر عما يقل استعماله، وإنما غيّر لأمرين: أحدهما المعرفـــة بموضعه، والآخر الميل إلى تخفيفه"[١٤].

وسار على نهج ابن جني المحدثون من عرب وغربيين فهذا جوزيف فندريس يقول: "كثرة الاستعمال تبلي في معانيها الألفاظ"[١٥].

ونظراً لكثرة هذه التصنيفات لأسباب التطور الدلالي فقد سعيت إلـــى التـــسديد والمقاربة والجمع بينها على النحو الآتي:

أولاً: الأسباب اللغويّة:

وهي نابعةٌ من اللغة ذاتها، تتمثل في حدوث تماسٍّ وتقارب بين الألفاظ، فتؤثر إحداها في الأخرى وهذا ما يسمّى "بالعدوى الدلالية"[١٦].

---

(10) علم الدلالة، د/ أحمد مختار ، ص/٢٣٥.

(11) علم اللغة، د/ علي عبدالواحد، ص/٢٣.

(12) ينظر: دلالة الألفاظ، د/إبراهيم أنيس، ص /١٣٥ وما بعدها.

(13) أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (... ــ ٣٩٢هـ) = (... ــ ١٠٠٢م)
من أئمة الأدب والنحو، ولد في الموصل، وتوفي ببغداد، من مصنفاته:
"المحتسب" ، "سر صناعة الإعراب"، "الخصائص"، "المنهج".
يُنظر: بغية الوعاة (٢/١٢٦-١٢٧)، الأعلام (٤/٢٠٤).

(14) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، لابن جني ، ص/٣٩٢.

(15) اللغة، لجوزيف فندريس، ص/٢٧٤.

مثل ذلك: كلمتي (الصياح والصراخ)"،حيث ورد في "فقه اللغة" للثعالبي[١٧] أنّ: "الصياح: صوت كل شيء إذا اشتد، والصراخ والصرخة: الصحية الشديدة عند الفزعة أو المصيبة"[١٨].

كذلك أطلقوا: الشيّخين على "البخاري ومسلم"، والأسودين على "التمر والماء"، "والقعود والجلوس"، فهذه الكلمات اختفى البون الدلالي بينها.

ومن الأسباب اللغوية كذلك: "القياس الخاطئ أو التوهم"، وهذا يحدث عند من ليس لديهم ثقافة لغوية فيصوغون مواد لغوية يتوهمون أنها موافقة لقواعد اللغة، ثم أخذت طريقها للاستعمال، وكثيراً ما نلحظ ذلك في لغة الأطفال، كما يحدث ــ أيضا ــ في لغة الكبار، وهذه الظاهرة عالجتها كتب اللحن وبيان الأخطاء الشّائعة، ومن أمثلة ذلك: تأنيث ما هو مذكر مثل: الرأس والبطن، وتوهم أن كملة "الولد" لا تطلق إلّا على المذكر خاصة، مع أنها للجنسين، وإطلاق كلمة "الزوج"[١٩] على (الرجل) دون المرأة، أو "العروس"[٢٠] على المرأة دون الرجل.

ومن الأسباب اللغوية ــ أيضا ــ التطور الصوتي، فالأصوات يحدث فيها التطور عن طريق: الإبدال والقلب فيكون له أثر في تغيّر الدلالة وتطورها، كما حدث في نحو: "الحثالة والحفالة"، و"رفأ و رفح"[٢١]، دعاء له بالرفاء، والمعاقبة بين "الواو والياء" مثل: (غيث وغوث)، (فيح وفوح)، (خوب وخيب)، فهذه التغيرات الصوتية ولدت خصوصية في الدلالة[٢٢].

ثانياً: الأسباب الاجتماعية والحضاريّة:

اللغة هي الأداة المعبرة عن حالة المجتمع ومتغيراته، فهي تتأثر سلباً وإيجاباً بتغيرات المجتمع، ومن هنا فلا بدَّ وأن تواكب ما يحدث في المجتمع من مظاهر التطور

---

(16) علم الدلالة، لبيير جيرو، ص/١١٨.

(17) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٣٥٠-٤٢٩هـ) = (٩٦١-١٠٣٨م) من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان يخيط جلود الثعالب فنسب إليها، من مصنفاته :"يتيمة الدهر"، "فقه اللغة"، "سحر البلاغة"، "الفرائد والقلائد" ينظر: هدية العارفين (٥٦٠/١) ، الأعلام (١٦٤/٤،١٦٣).

(18) فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، (٣٤٢/١)

(19) جاء في سورة الأنبياء، الآية:٩٠ ، قوله تعالى:"وأصلحنا له زوجه" أي :زوجته.

(20) ينظر: لسان العرب (١٣٥/٦)

(21) ينظر : لسان العرب (١٤٢/١١)، (١٥٩/١١).

(22) ينظر : معجم الفوائد، د/إبراهيم السامرائي، ص/٧٨.

والتغيير، فالتغيّر التقني والتشريعي، وتغيّر الطبائع يؤدي إلى تغيرات في المعنى لا تحصى، "أو على كل حال إلى تعديل في العلاقات بين الدال ومضمونه المفهومي"[٢٣].

ويمكن معالجة الأسباب الاجتماعية والحضارية في الجوانب الآتية:

١ــ نتيجة للتطور العلمي والتقني في العصر الحديث ظهرت كثير من الدلالات الجديدة للألفاظ، ومن الوسائل المتبعة لمواكبة هذا التطور: النظر في الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على المستحدثات عند وجود أدنى ملابسة[٢٤].

مثال: "الحقيبة: الرفادة في مؤخرة القتب، والجمع الحقائب"[٢٥] واليوم تطلق الحقيبة على تلك الأشكال والأنواع المختلفة التي تزخر بها الأسواق للرجال والسناء والأطفال، كذلك كلمة "الشنق"، تقول: "أشنقته الشيء وشنقته إذا علقته"[٢٦]، أما اليوم فمعناه: القتل، أيضاً (الذّرة)كانت تعني"صغار النّمل"[٢٧]، واليوم صارت علماً تتبارى فيه الأمم والشعوب.

٢ــ عندما تنتقل اللغة من جيل إلى جيل ينتج عن ذلك تغير في المفردات، وظهور دلالات جديدة، وقديما عرفت العربية ألفاظ (حضريه) مولدة، ثم استخدمت بعد عصور الاحتجاج في دلالات جديدة مثل: "المبلغ، الحصة، السُّلفة"[٢٨]، فاختلاف الطبقات الاجتماعية داخل الجيل الواحد والعصر الواحد يكون عاملاً من عوامل التطور الدلالي.

٣ــ للدين دور كبير، وأثر بالغ في التطور الدلالي، فهو يأتي بتشريعات ومعتقدات وعبادات، وأحكام جديدة، فيضفي على الألفاظ دلالات جديدة تعبر عما جاء به، فالإسلام جاء بألفاظ ومصطلحات جديدة مثل: المسلم والكافر والمؤمن، والإحسان والإيمان والصلاة، والصوم والوضوء والتيمم، وقس على ذلك في ألفاظ الفقه والعقيدة والأصول والمعاملات، حيث نقل الإسلام دلالات تلك الألفاظ

([23]) علم الدلالة، لبيير جيرو، ص/١١٣،١١٤.

([24]) ينظر :علم الدلالة، أحمد مختار، ص/٢٣٨.

([25]) لسان العرب، مادة (حقب) ، (٢٣٥/١).

([26]) لسان العرب، مادة (شنق)، (١٨٧/١٠).

([27]) لسان العرب، مادة (ذرر)، (٣٠٤/٤).

([28]) ينظر: العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، ص/٣٥٠.

أو صبغها بصبغته، فصارت مورداً ينهل منه اللغويون في دراساتهم قديماً وحديثاً.

٤ــ تطور المجتمعات العربية وتقدمها أدى إلى اتصالها بالغرب وحضارته، وهذا الاتصال أدّى إلى دخول كثير من الألفاظ الأجنبية إلى ميدان العربية بصورة أكبر من أي عصر مضى حتى العباسي، فكان لزاماً الوقوف أمام هذا التيار من الألفاظ الأجنبية عن طريق استحداث كلمات جديدة، أو إشراب الكلمات العربية ــ القديمة والمعاصرة ــ معنى الكلمات الأجنبية دون تغيير صيغتها حيناً، وربّما يلحقها تغيير حيناً آخر[٢٩].

ثالثاً: الأسباب النفسيّة:

مما لا شك فيه أنّ الألفاظ لها أثر نفسي في الإنسان، ولولا ذاك لما قلنا: "صوت دافئ، كلام حار، فقأ مرارتي، حرق قلبي" وهكذا كثيراً ما نصوغ عباراتنا محملة بانفعالاتنا، ومعبرة عن حالتنا النفسيّة، وهذا يشكل ملمحاً من ملامح التطور الدلالي. يتصل بالأسباب النفسيّة ما يسمّى بـ(اللامساس أو التلطف في التعبير)" [٣٠]، ويعني: الابتعاد عن الكلمات ذات الإيحاءات المكروهة أو الحادة،واستبدالها بكلمات أكثر قبولاً وحشمة، فالألفاظ المتصلة، بالقذارة أو المرتبطة بالغريزة الجنسية تغلف بتوريات تخفف من الحرج فيها فمكان قضاء الحاجة يسمّونه: الخلاء أو الحمام، والجماع يعبّر عنه بالنكاح، والمتوفى يسمونه: المرحوم، والراحل، والفقيد، وهكذا كان عند علمائنا القدامى من أصول الفصاحة والكناية في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح[٣١].

ويدخل ضمن الأسباب النفسيّة ــ في اعتقادي ــ التفاؤل والأمل والتيامن، كتسمية المولود: يحيى، والأعمى: أبو بصير، والمرض طهور، وهلم جرا. .. من الألفاظ التي تطورت دلالاتها تحت تأثير العوامل النفسية.

إنّ أسباب التطور الدلالي كثيرة ومتنوعة، وقد تستعصي على الحصر فقد ذهب الدكتور/ حاكم مالك لعيبي إلى أنها تبلغ واحداً وثلاثين سببا، وانتهى إلى القول:"إنّ عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة،...، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة أسباب مهمة لتغيّر المعاني، وهذه الأسباب: لغوية، وتاريخية، ونفسيّة، ومنها التأثير الأجنبي، والحاجة إلى اسم جديد"[٣٢].

---

(29) ينظر: مقدمة لدراسة التطور الدلالي، د/حامد محمد قدور، ص/٣٠.

(30) ينظر: المصدر السابق.

(31) ينظر: سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، ص/١٦٢.

(32) الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي، ص/١٥.

المبحث الثالث: مظاهر التطور الدلالي:

من خلال استقراء التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات في اللغات المختلفة استطاع علماء اللغة المعاصرون أن يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسيّة تصدق على اللغات جميعاً، وبحسب تقسيم منطقي اتبعوه وجدوا أنّ المعنى القديم للكلمة "إمّا أن يكون أوسع من المعنى الجديد، أو أضيق منه، أو مساوياً له، ولم تكن هناك إمكانية رابعة في حسبانهم"(٣٣).

وعلى هذا النحو نجد أنّ أهم مظاهر التطور الدلالي ثلاثة: تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميمها، أو تغيير مجال استعمالها، ومن هنا نرى "فندريس" يقول: تَرجع ــ أحياناً ــ التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات، من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: التضييق، والاتساع، والانتقال"(٣٤).

ومهما يكن الأمر فإن علماء اللغة الأوائل قد فطنوا إلى هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر التطور الدلالي، وأشبعوها بحثاً ودراسة، إلاّ أنّ هناك مظاهر أخرى للتطور الدلالي سأذكرها في وقتها.

أولاً: تخصيص الدلالة:

ويسمى أيضاً "تضييق المعنى"(٣٥)، فهناك ألفاظ كانت تستعمل في دلالات عامة، وبمرور الوقت والاستعمال، اتجه الناس إلى تضييق مجالها وتخصيصها، لأن إدراك الدلالة الخاصة أيسر من إدراك الدلالة الكلية(٣٦)، لأنها أقرب للأذهان من العامة، ولعل أبرز مثال في هذا المجال هو تخصيص الألفاظ الإسلامية، مثل الحج، يحدثنا ابن

---

(33) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص/١٦٢.

(34) اللغة، فندريس، ص/٢٥٦.

(35) علم الدلالة، د/أحمد مختار عمر، ص/٢٤٥.

(36) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ص/١٥٣.

فارس[٣٧] عن تخصيص الدلالة فيه فيقول: "ثم اختفى بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنّسك، والحجيج والحاج"[٣٨]، وقل مثل ذلك في: الصلاة، التي تحولت من الدعاء العام إلى الدلالة الخاصة على الصلاة، وغيرهما مما خصصه الإسلام.

الإمام جلال الدين السيوطي[٣٩]، تحدث عن هذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي (تخصيص الدلالة) ضمن كتابه: (المزهر) سماه "معرفة العام والخاص" وتحدث فيه عن اللفظ (العام المخصوص) وهو: "اللفظ الذي وضع في الأصل عامّاً، ثم خصّ في الاستعمال ببعض أفراده"[٤٠].

ومن لطيف ما أورده لفظ (السبت) في اللغة يعني (الدهر) ثم خُصّ في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر[٤١].

ومن أمثلة تخصيص الدلالة في غير الألفاظ الإسلامية:

- "الأثاث": يطلق الأثاث في الأصل على: "الكثير من المال، وقيل: كثرة المال، وقيل المال كله، والمتاع ما كان من: لباس أو حشو لفراش، أو دثار، واحدته أثاثه"[٤٢]، فخصصت دلالته بمتاع البيت من: فراش وأسرة ومقاعد.
- "النّشل": في اللسان:"نشل الشيء نشلاً: أسرع في نزعه، ونشل اللحم: أخرجه بيده من القدر من غير مغرفة"[٤٣]، ثم صار "النشل" في عربيتنا اليوم السرقة السريعة، وفاعلها: نشّال.

---

(37) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٢٩-٣٩٥هـ) = (٩٤١-١٠٠٤م). =
= أبوالحسين، من أئمة اللغة والأدب، ولد في "قزوين"، ومات في "الري" من مؤلفاته: "مقاييس اللغة"، "المجمل" ، "الصاحبي"، "النيروز"، "الفصيح"، "اللامات".
ينظر : بغية الوعاة (٣٣٧،٣٣٨/١)، الأعلام (١٩٣/١).

(38) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٩/٢).

(39) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٨٤٩-٩١١) = (١٤٤٥-١٥٠٥م)
جلال الدين، إمام حافظ، ومؤرخ أديب، نشأ يتيماً، واعتزل الناس للتأليف، بلغت مصنفاته نحو (٦٠٠)مصنف منها: "الإتقان في علوم القرآن"، "المزهر"، "الأشباه والنظائر".
ينظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (٢٤٦/١-٢٥٣)، الأعلام (٣٠١،٣٠٢/٣).

(40) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي (٤٢٧/١).

(41) المصدر السابق.

(42) لسان العرب، مادة (أثث) (١١٠/٢)

(43) اللسان، مادة (نشل) (٦٦١/١١).

- كلمة (حرامي) في الأصل منسوبة إلى "الحرام"[٤٤]، ثم تخصصت دلالتها، وأصبحت تعني "اللّص"، كما هو متداول اليوم.

ثانياً: تعميم الدلالة:

وهو عكس المظهر السابق، حيث يتسع مجال الدلالة، ليشمل أكثر مما كان عليه، فبعد أن كان الدلالة جزئية صارت كلية، وهناك مثال بسيط لهذا التعميم نلحظه عند الأطفال حيثما يطلقون على كل طائر "دجاجة"، وكل حيوان كبير "حصان"[٤٥].

ويطلق على "تعميم الدلالة" عند بعض الباحثين: "توسيع المعنى"[٤٦]، ومن أمثلة تعميم الدلالة:

- "الزيت": جاء في اللسان: "الزيت معروف عصارة الزيتون، والزيتون شجر معروف، والزيت دهنه"[٤٧]، ثم صار الزيت دالاً على كل ما يدهن به[٤٨].
- "الثرى": أصله في المعاجم:"التراب الندي، وقيل:هو التراب الذي إذا بُلَّ لم يصر طيناً لازباً"[٤٩]، ثم عممت دلالته ليشمل التراب رطباً ويابساً.
- "المنحة": تعني في المعاجم العربيّة: "أن يمنح الرجل أخاهُ ناقة أو شاة يحلبها زماناً وأيَّاماً ثم يردّها"[٥٠]، ثم صارت "المنحة" تطلق على كل ما يعطاه الإنسان دون مقابل، ولعل في مصطلح المنح الدراسيّة التي يمنحها خادم الحرمين للطلاب، يوضح شمول واتساع مصطلح المنحة.

والملاحظ من خلال الأمثلة السابقة وجود علاقة بين المعنى القديم والجديد للكلمة، قد تكون علاقة مشابهة أو مجاورة، أو بعض علامات المجاز المرسل، وفي

---

(44) دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، ص/١٢٥.

(45) ينظر دلالة الألفاظ ،ص/١٥٥.

(46) علم الدلالة، لأحمد مختار، ص/٢٤٣.

(47) اللسان، مادة (زَيَتَ) (٣٥/٢).

(48) ينظر: معجم الفرائد، ص/١٠٢.

(49) اللسان، مادة (ثرا) (١١١/١٤).

(50) اللسان، مادة (منح) (٦٠٧٩/٢.

ضوء هذه العلاقات تم تحويل بعض "الأعلام" إلى "صفات" مثل: "حاتم" (صفة): للكريم والمضياف، "وعرقوب"، صفة لمن عرف بإخلاف الوعد[٥١].

وعلى ذلك ذهب بعض الباحثين إلى أنّ التعميم الدلالي "ناشئة عن سببين رئيسين هما: "التشبيه، والمجاز المرسل"[٥٢].

ثالثاً: انتقال الدلالة:

تعددت مسميات هذا المظهر، فهناك من يسميه "تغير مجال الاستعمال"[٥٣]، وآخرون يسمونه: "نقل المعنى"[٥٤]، وبعضهم يسميّه "انتقال المعنى"[٥٥].

ومهما يكن الأمر: فإنّ هذا المظهر يشمل نوعين من تطور الدلالة:

الأول: انتقال مجال الدلالة لعلاقة المشابهة، وهذا يكون في الاستعارة، وهي عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه وأداة التشبيه[٥٦].

الثاني: انتقال مجال الدلالة لغير علاقة المشابهة بين المدلولين، وهو "المجاز المرسل" وقد سمي هذا المجاز مرسلاً لإطلاقه من قيد المشابهة[٥٧].

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أنّ السبب في نقل الدلالات هو: الرغبة في توضيح المعنى، وتجلية صورته في الذهن، كما أنّ رقي الحياة العقلي يدفع بالإنسان للبحث عن الدلالات المجردة والاعتماد عليها في الاستعمال[٥٨].

وهذه بعض الأمثلة التي توضح تلك الانزياحات والانزلاقات الدلالية:

- "الشّنف": قال في تاج العروس: "الشنف: القرط الأعلى ــ كما في الصحاح ــ أو معلاق فوق الأذن... أو عُلّق في أعلاها... وأمّا ما علق في أسفلها فقرط، وقيل الشنف والقرط واحد"[٥٩]. أصل"الشنَف" حس، وهو ما تزيّن به الأذن، ثم

---

(51) ينظر : دلالة الألفاظ، ص/١٥٤.

(52) المصدر السابق.

(53) دلالة الألفاظ، ص/١٦٠.

(54) علم الدلالة، أحمد مختار،ص/٢٤٧.

(55) دور الكلمة في اللغة، ص/١٨١.

(56) علم البيان التطبيقي، د/محمد عادل شوك،ص/٥٩.

(57) المجاز في البلاغة العربية، د/مهدي السامرائي، ص/١١٤.

(58) ينظر: دلالة الألفاظ، ص/١٦٠، ١٦١.

(59) تاج العروس: للزبيدي، مادة (شنف) (٢٣/٥٢٩)

انتقل لدلالة معنوية، وهي: تشنيف الأذن بالحديث، فيقال: حديث يشنف الأسماع، ونشنف أسماعنا بحديث فلان.

- "الوشيجة": أصلها عروق الأشجار والأغصان المتشابكة[٦٠].

وهي دلالة حسيّة، ثم نقلت إلى دلالة معنوية، وهي "صلة الرحم"، فالوشائج جمع وشيج وهي: اشتباك القرابة والتفافها"[٦١].
ثم اتسعت دلالتها فلم تعد خاصة بعلاقات الرحم، بل امتدت لتشمل علاقات الدول.

في الأمثلة السابقة نلاحظ أنّ الدلالة انتقلت من المعنى الحسّي إلى المجرد، وهذا هو الضرب الأول من ضروب الانتقال الدلالي، أما الضرب الثاني: وهو انتقال الدلالة من المعنى المجرد إلى المعنى الحسي، فيقصد منه: توضيح المعنى وتقريبه، وجعله أمراً محسوساً؛ يُرى ويُسمع، ويتذوق، ويلمسُ ويشم، وهذا ما نلمسه في لغة الأدباء والشعراء حين يصورون الحنان والصبر والأمل والحقد في صور مجسدة محسوسة، فيزداد تأثرنا بتلك الصور البلاغية[٦٢].

ومما تجدر الإشارة إليه: احتمال تعايش الدلالتين إلى جانب احتمال طغيان الدلالة المتطورة على سابقتها[٦٣].

رابعاً: رقي الدلالة، وسموها:

وذلك تحت تأثير تطور الحياة الاجتماعية ورقيّها، فيجب تطور دلالات الألفاظ، لتوائم وتواكب التطور الاجتماعي، ومن الألفاظ التي ارتقت دلالاتها:

- "المجد": انتقلت دلالته من ارتباطه بالإبل مأخوذ من: "مجدت الإبل تمجد مجوداً"، وهي مواجد ومُجَّدٌ، ومُجُدٌ، وأمجدت نالت من الكلأ قريباً من الشبع"[٦٤].

فصارت تدل على الشرف والسؤدد وهو بلا شك أرقى وأسمى من معناها الأول.

---

(60) اللسان، مادة (وشج) (٢/٣٩٩).
(61) تاج العروس، مادة (وشج) (٦/٢٦٠)
(62) ينظر : دلالة الألفاظ، ص/١٦١.
(63) علم الدلالة العربي، د/فائز الداية، ص/٣١٥.
(64) اللسان، مادة (مجد) (٣/٣٩٦)

- "السياسة"، مأخوذة من: "فعل السائس، يقال هو: يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها"[٦٥]، ثم قيل: "الوالي يسوس رعيته"[٦٦]، بجامع القيام بالمصلحة، فتطورت الدلالة،وسمت إلى أفق أسمى وأعلى من ذي قبل.
- "الامتياز": كانت تدل على مجرد الفصل بين الشيئين، "تميز القوم وامتازوا صاروا في ناحية"[٦٧]، ثم سمى معناها وارتفع فصارت تدل على التفوق.

خامساً: انحطاط الدلالة:

فسَّر بعض اللغويين هذا المظهر بأنّه دليل على وجود نزعة تشاؤميّة في العقل الإنساني[٦٨]، والحقيقة أنَّ الذي يظهر لي ــ كما ذكرت سابقاً ــ أنَّ هذا المظهر يرتبط بعوامل نفسيَّة وانفعاليّة، حيث كانت الألفاظ المتصلة دلالاتها بالقبح أو القذارة أو الغريزة الجنسية أكثر عرضة للانحطاط من غيرها، وهذا الانحطاط هو ما جعل علماء اللغة يشيرون إلى أنّ تلك الألفاظ مبتذلة.

ومن أمثلة انحطاط الدلالة:

- "الاحتيال": أصله في المعاجم اللغوية: "والاحتيال والتحوّل والتحيّل، كل ذلك: الحذق، وجودة النظر، والقدرة على دقة التصرف، والحيَل والحوَل جمع حيلة...والاحتيال والمحاولة: مطالبتك الشيء بالحيل"[٦٩]، ثم تحولَ هذا المعنى إلى معنى: الغش والخداع واستغلال الإنسان لذكائه وقدراته.
- "الحاجب": هذه اللفظة كانت تعني: "رئيس الوزراء"[٧٠]، ثم ابتذلت هذه اللفظة بمرور الزمن، وأصبحت بمعنى "الخادم".
- "بهلول" كانت تعني هذه اللفظة: "السيِّد"، ثم ابتذلت فأصبحت تعني: "البهلوان"، وهو الشخص الذي يؤدي الألعاب المضحكة[٧١].

ومع ذلك فإنّ الألفاظ في حركة دائبة فتتردد دلالاتها بين الرقي والانحطاط، فربّما تكون دلالة اللفظة راقية في مجتمع ما ودلالة اللفظة ذاتها في مجتمع آخر

---

(65) اللسان، مادة (سوس)(١٠٨/٦).

(66) اللسان، مادة (سَوَس) (١٠٨/٦).

(67) اللسان، مادة (مَيزَ) (٤١٢/٥).

(68) دور الكلمة في اللغة، ص/١٩٩.

(69) اللسان، مادة (جَبَلَ) (١٨٧/١١).

(70) علم الدلالة عند العرب، د/عليان بن محمد الحازمي، ص/٧١٥.

(71) المصدر السابق.

منحطة، ومدار هذا الرقي وذاك الانحطاط هو استعمالات المجتمع، وظروفه الاجتماعيـــة والنفسيّة.

وزمام الأمر: أن التطور الدلالي في العربية يأخذ أشـــكالاً مختلفـــة، وأنواعـــاً متعددة، تبعاً للأسباب المستجلبة لتلك المظاهر، والمجتمعات والعصور، وما تتبع ذلك من ظروف وحيثيات تؤثر سلباً أو إيجاباً في التطور الدلالي.

الخاتمة:

الحمد لله منه يبدأ الأمر وإليه منتهاه، والصلاة والسلام على من أعطاه ربَّـــه فأرضاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أبداً سرمداً إلى يـــوم أن نلقاه، وبعد:

بعون الله ومدده نصل إلى نهاية هذا البحث الموسوم (التطور الـــدلالي عنـــد العرب: أسبابه ومظاهره)، والتطور الدلالي هو احد مظاهر التطور اللغـــوي، وميدانـــه الكلمات ومعانيها، وتلك المعاني لا تستقر على حال، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، وتتبع أحد معاجم اللغة يبرهن على هذا التطور، ويبين أنّ معاني الكلمات متغيرة مـــن عصر إلى عصر، حسب التقدم الحضاري والاجتمـــاعي وحاجـــات مـــستخدمي اللغـــة ونفسياتهم، إلى غير ذلك من العوامل التي تؤدي إلى هذا التطور والتغير، وما ينتج عن هذا التطور من اتساع وتضييق وانتقال في الدلالة اللغوية إلى غير ذلك مـــن مظـــاهر أخرى عرجت عليها في هذا البحث.

طفت في هذا البحث بعدد من بساتين اللُّغة، وقطفت منها أجمل وأنضر ما فيها، وقدمتها في ضمامة هذا البحث، راجياً أن تحظى بعناية القارئ واهتمامه، وعـــل أهـــم نتائج هذا البحث:

أولاً: اللغة الإنسانية مثل الكائن الحي، تحيا على ألـــسنة المتكلمـــين وتتغيّـــر وتتطور بفعل الزمن مثلما يتطور الكائن الحي ويتغيّر، وتخضع لما يخضع لـــه الكـــائن الحي في نموه وتطوره.

ثانياً: يقف وراء التطور الدلالي: أسباب لغوية، وأخرى حضاريّة واجتماعية، وثالثة نفسيّة، وأي أسباب أخرى تندرج تحت تلك الثلاثة بصورة أو بأخرى.

ثالثاً: تتجلى مظاهر التطور الدلالي في تخصيص الدلالة وتعميمها وانتقالها من مجال إلى آخر عن طريق علامة المشابهة (الاستعارة) أو غير المشابهة (المجاز المرسل)، ومن مظاهر التغيّر الدلالي سمو الألفاظ ورقيها، وانحطاطها وابتذالها.

رابعاً: علماء العربية القدامى اهتموا بهذا الجانب اللغوي، ثم أردف علماء العربية المحدثون فقعدوا لهذا العلم من خلال اطلاعهم على الدراسات العالمية حول "التطور الدلالي".

الجدير بالذكر أن "التطور الدلالي" لا يزال ميداناً خصباً لإجراء بحوث ودراسات في جوانبه المختلفة مثل:

١ــ التطور الدلالي للمصطلحات الإسلامية.

٢ــ التطور الدلالي لأسماء الألبسة.

٣ــ التطور الدلالي لأسماء الآلات.

هذا ما عنّ لي حول هذا البحث، سائلاً الله القبول في الدارين، وحسن العاقبة في الأمور كلها، والحمد لله على توفيقه وامتنانه، وصلى الله على نبينا ومعلمنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر العربية:

أولاً: الكتب:

١ــ الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.

٢ــ تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى محمد بن عبد الــرزاق الزبيــدي، تحقيق/مجموعة من المحققين، دار الهداية، الطبعة الأولى.

٣ــ الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي، بغداد، ١٩٨٠م.

٤ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق/مجدي فتحي السيد، وياسر سعيد اللقاني، المكتبة التوقيفيــة، القاهرة.

٥ــ دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة.

٦ــ سر الفصاحة، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـــ١٩٨٢م.

٧ــ العربية لغة العلوم والتقنية، د.عبد الصبور شاهين، دار الاعتــصام، القــاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦م.

٨ــ علم البيان التطبيقي، د/محمد عادل شوك، صنعاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٩ــ علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

١٠ــ علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، د.فائز الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١١ــ علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة التاسعة.

١٢ــ فقه اللغة وسر العربيّة، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق/خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٣ــ كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤ــ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م.

١٥ــ اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٦ــ اللغة والتطور، د.عبدالرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م.

١٧ــ المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق د.حسين هنداوي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٨ــ المجاز في البلاغة العربيّة، د.مهدي السامرائي، دار الدعوة، حماة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

١٩ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخران، دار الجيل، بيروت.

٢٠ــ معجم الفرائد، د.إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٢١ــ مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، راجعه وعلق عليه/انس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٢ــ هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون)، إسماعيل باشا البغدادي، اعتنى به/محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

ثانياً: الدوريات:

١ــ التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث.د.حسين حامد الصالح (بحث) في مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة صنعاء، العدد:١٥، يناير، يونيو، ٢٠٠٣م.

٢ــ علم الدلالة عند العرب، د.عليان بن محمد الحازمي، بحث في مجلة جامعة القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج:١٥، ع:٢٧، جمادى الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣ــ مقدمة لدراسة التطور الدلالي، د.أحمد محمد قدور، مقال بمجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، مجلد:١٦، عدد:٣.

المصادر المترجمة:

١ــ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د.كمال بشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢ــ علم الدلالة، بييروجيرو، ترجمة.منذر عياش، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى.

٣ــ اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة/ محمد القصاص، وعبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.